

الحمد لله رب العالمين

اللهم اسْعِنْ

صَبَرَةَ الْمُتَابِعِينَ

الحمد لله رب العالمين

زَيْلَبْ لِدَتْ عَلَيْ

دَارَانْ كَشْمَرْ

من - مدن

(١٣)

زینب بنت علی

* راوية للحديث النبوی الشريف ، حازمة ، ذات عقل راجح ، بلیغة ، خطیبة ، لها محاورة مع یزید بن معاویة الخليفة الاموی .

رِينَبْ بُنْتُ عَلَيَّ

كَرَمُ الْآبَاءِ وَالْأَجَادِادِ :

* ولِيدَةٌ مبارَكةٌ استقبلَتْها مدِينَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعَامِ الْخَامِسِ مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبُوَّيَّةِ .

* وَفِي بَيْتِ كَرِيمِ الْآبَاءِ وَالْأَجَادِادِ كَانَ مُولَدُهَا .

فَجَدُّهَا : سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَخَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا مِنْ فَخْرٍ ؟ .

وَجَدُّهَا : صَدِيقَةُ الْمُؤْمِنَاتِ الْأُولَى ، وَأُولَئِكَيَّ النِّسَاءِ – فِي عَهْدِ النَّبِيِّ – إِسْلَامًا خَدِيجَةُ بَنْتُ خَوَيْلَدٍ^(۱) أُمُّ الْمُؤْمِنَاتِ ، وَسَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ فِي زَمَانِهَا ، وَهِيَ مِنْ كَمْلَةِ النِّسَاءِ ، كَانَتْ عَاقِلَةً جَلِيلَةً دِينَةً مَصْوَّتَةً كَرِيمَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

وَأُمُّهَا : فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءِ^(۲) بَنْتُ سَيِّدِنَا وَحَبِيبِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ فِي زَمَانِهَا ، وَأَحَبَّ بَنَاتِ النَّبِيِّ إِلَيْهِ ، وَأَشَيَّهُنَّ بِهِ فِي تَحْلِقِ

(۱) للمرزيد من أخبار أمّا خديجة اقرأ كتابنا « نساء مبشرات بالجنة » (۱/۱۳) .

(۲) للمرزيد من أخبار فاطمة الزهراء اقرأ كتابنا « نساء مبشرات بالجنة » (۲/۵۰) .

وفي خلق . كانت صابرَةٌ دينَةٌ خيرَةٌ صيَّنةٌ قانعَةٌ شاكرَةٌ لِللهِ عَزَّ وَجَلَّ
- رضي الله عنها -

وأبوها : سيدنا علي بن أبي طالب عليه سحائب الرضوان ، فارس النبي الكريم عليهما السلام وابن عميه ، وأول من آمن به من الصبيان ، أمير المؤمنين ، أبو السبطين ، وأول هاشمي ولد بين هاشميين ، وأول خليفة من بني هاشم ، وأحد العشرة المشهود لهم بالحننة ، وأحد العلماء الربانيين ، والشجعان المشهورين ، والزهاد المذكورين - رضي الله عنه - .

وَجَدَّهَا لِأَيْهَا : فَاطِمَةُ بْنَتُ أَسَدٍ الْهَاشِمِيَّةِ^(۱۱) ، كَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُولَى ، وَهِيَ أُولَى هَاشِمِيَّةَ وَلَدَتْ هَاشِمِيًّا ، وَعِنْدَمَا تَوَفَّيَتْ أُبْرِيَّهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَصَرَهُ لِتَكْسِيَ مِنْ خُلُلِ الْجَنَّةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - .

وأخوها الشَّقيقان : هما الحسن بن علي : وهو الإمام السيد ريحانة رسول الله ﷺ وسبطه ، وسيد شباب أهل الجنة ، وشبيه جده رسول الله ﷺ . وشقيقها الحسين ، هو الإمام الشريف الكامل ، سبط رسول الله ﷺ ، وريحانته من الدنيا ومحبوبه – رضي الله عنه – .

* * *

(١) اقرأ سيرة فاطمة بنت أسد في كتابنا « نساء مبشرات بالجنة » (٥٣/١) ففيها كثير من الاشواق المطيفة إن شاء الله .

(٢) العلاقات (٤٦٥/٨)، ونسب قريش (ص ٤٤)، وجمهرة أنساب العرب =

الشاة العلمية الزكية :

* في ساحة البيت الشريف ، تدرّجت زينب بنت علي محوطة برعاية جدها سيدنا رسول الله ﷺ وعطفه وجهه ، وعلى يدي الزهراء - رضي الله عنها - صنعت ، وتلقت عنها أمور الحياة ، وهي لا تزال غصنة صغيرة ، وفي مرحلة الطفولة الأولى توفي جدها رسول الله ﷺ ثم والدتها الزهراء - رضي الله عنها - ، فوجدت أباها أمير البيان ، وعالم الصحابة وفقيرهم ، فتلقت عنه علماً جمّاً جعلها إحدى فرائد الدهر أدباً ومعرفة - رضي الله عنها - .

* وذكر ابن عساكر - رحمة الله - أنَّ زينب بنت علي قد حدثت عن أمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وأسماء بنت عميس - رضي الله عنها - ، وموئل النبي ﷺ اسمه طهمان أو ذكوان .

* وروى عنها : محمد بن عمرو^(١) ، وعطاء بن السائب ، وابنة أخيها فاطمة^(٢) بنت الحسين بن علي .

- (٣٧/٩) ، والإصابة (٤/٣٤) . وزينب بنت علي هذه ؛ تُعدُّ من الصحابيات لأنها ولدت في عصر النبوة ، ولكننا آثرنا أن تكون في عصر التابعيات لأن نسائها وشهرتها كانت في ذلك العصر .

(١) محمد بن عمرو بن الحسن بن علي بن أبي طالب الماتشي ، أبو عبد الله المدني ، أمه : رملة بنت عقيل بن أبي طالب . روى عن عمته أميه زينب بنت علي وابن عباس وصحابه ؛ وروى عنه سعد بن إبراهيم وغيره . قال أبو زرعة والتسلاني وابن حربان وابن أبي حاتم : ثقة . وذكره ابن حبان في الثقات (جهنم البذيب : ٣٧١/٩) .

(٢) اقرأ سيرة فاطمة بنت الحسين في هذا الكتاب ؛ ففيها ما يدخل التساؤل إلى النفس إن شاء الله .

* ومن روايتها ما أخرجه ابن عساكر يسنده عنها أن النبي ﷺ قال : «إِن الصدقة لا تحل لَمُحَمَّدٍ وَلَا لِأَلِّ مُحَمَّدٍ، وَإِن مولى القوم منهم»^(١)

* * *

فَعَ ابْنِ ذِي الْخَاتِمَيْنَ :

* كان سيدنا علي - رضي الله عنه - قد أوقف بناته على أبناء أخيه جعفر بن أبي طالب ، وها هي زينب ابنته تبلغ مبلغ الزواج ، ويقدم خطيبها شباب من بني هاشم ومن قريش ، غير أن سيدنا علياً - رضوان الله عليه - قد اختار لها ابن أخيه عبد الله بن جعفر - رضي الله عنهما -

* وعبد الله بن جعفر هذا ؟ هو السيد العالم ، أبو جعفر القرشي

(١) تاريخ دمشق (ص ١٢٠) .

وفي تحرير الصدقة على بني هاشم : يقول ابن قدامه : لا نعلم خلافاً في أن بني هاشم لا تحل لهم الصدقة المفروضة ، وقد قال النبي ﷺ : «إِن الصدقة لا تبني لآل محمد إِلَّا هُوَ أَوْسَاخُ النَّاسِ» رواه مسلم .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : أخذ الحسن ثمرة من ثمر الصدقة ، فقال النبي ﷺ : «كتح كتح : ابطرحها ، أما شعرت أنها لا تأكل العذقة» متفق عليه . وكما حرم النبي ﷺ الصدقة على بني هاشم ، حرّمها كذلك على موالיהם - خدمهم - فعن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ أن النبي ﷺ بعث رجلاً من بني خزروم على العذقة فقال : أصحب كيما تعرب منها ؟ قال : لا حتى أنا رسول الله فأسألة ، وانطلق فسأله فقال : «إِن الصدقة لا تحلُّ لَنَا وَإِن مولى القوم من أنفسهم» رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذى وقال : حسن صحيح .

الهاشمي الحبيشي المولد ، المدحى الدار ، الجمود بن الجمود ذي الجناحين ،
وقطب الجمود والمسخاء والكرم ، وهو آخر من رأى النبي ﷺ وصحبه
من بني هاشم . وعبد الله هذا ؟ هو الذي دعا له النبي الكريم ﷺ
بالبركة فقال :

« اللهم بارك له في نجاته » .

أضف إلى ذلك أن عبد الله شبه رسول الله ﷺ وفيه يقول : « وأما
عبد الله فشبه خلقي وخلقي » ^(١) .

* ومع هذا الزوج الكريم عاشت زينب - رضي الله عنها - ،
فأنجحت له أربعة بين وهم : علي ، وعون الأكبر ، وعباس ، ومحمد ؛
ولدت له بنتاً واحدة اسمها : أم كلثوم .

* وكانت زينب - رضي الله عنها - ثُرُّ أَسْدِ السُّرُورِ عندما ترى
مروعة زوجها ، وجوده وبذله ، وكيف لا ؟ وهو من أهل بيت النبوة أهل
الجمود والكرم والبذل والعطاء .

* قيل : إن أعرابياً قصد مروان بن الحكم فقال : ما عندنا شيء ،
فعليك بعد الله بن جعفر ، فأقى الأعرابي عبد الله فأنشأ يقول :

أبو جعفر من أهل بيت نبوة
صلاتهم لل المسلمين طهور
أبا جعفر إن الحجيج ترحلوا
وليس لرحلة فاعلم من يعير

(١) سير أعلام النبلاء (٤٥٨/٣) .

أبا جعفر حسنُ الْأَمِيرِ بِمَا لَهُ
 وَأَنْتَ عَلَىٰ مَا فِي يَدِكَ أَمِيرُ
 أبا جعفر يا بن الشهيد الذي له
 جناحان في أعلى الجنان يطيرُ
 أبا جعفر ما مثلك اليوم أرتجي
 فلا تتركني بالفلة أسريرُ

فقال : يا أعزاري سار الثقل ، فعليك بالراحلة بما عليها ، وإياك أنْ
 تُخدعَ عن السيف ، فإني أخذته بألف دينار^(١) .

* * *

زَيْنَبُ بِنْتُ الْمُؤَافِفِ :

* عُرفت زينب - رضي الله عنها - بأنها امرأة حزنة المرأة حازمة ،
 ذات عقل راجح ، وبلاهة نادرة بين النساء ، وكانت ثابنة الجنان ، رفيعة
 القدر ، خطلية ، فصيحة ، وكانت مع أخيها الحسين بن علي رضي الله
 عنهما في كربلاء ، وكذلك بعض أولادها .

* وفي أرض كربلاء ، اقتربت من خيمة أخيها الحسين - رضي الله
 عنه - فسمعته يرتجز :

يَا دَهْرَ أَفْ لَكَ مِنْ خَلِيلٍ
 كُمْ لَكَ بِالإِشْرَاقِ وَالْأَصْبَلِ

(١) سير أعلام النبلاء (٤٥٩/٣) .

مِنْ صَاحِبٍ أَوْ طَالِبٍ فَتَيْلٌ
 وَالدَّهْرُ لَا يَقْنَعُ بِالْبَدْلِ
 وَإِنَّمَا الْأَمْرُ إِلَى الْحَسِيلِ
 وَكُلُّ حَيٍ سَالِكٌ السَّبِيلِ

وأعاد هذا الرجز مرتين أو ثلاثة ، فلم تملك زينت نفسها حتى وثبت
 تاجر نوبها حتى انتهت إلى الحسين ، وتوقفت خذناً جليلاً فنادت :
 واثكلاه . . . ، عندئذ أوصاها قائلة : يا أخيه ، إنني أقسم عليك ألا
 تخفي على جيماً ، ولا تخمشي على وجهها ، ولا تدعني على بالوريل والشبور
 إن أنا هلكت ^(١) .

* واستشهد الحسين - رضي الله تعالى عنه - ، ونفت وصيته ، ولما
 قدم بها على يزيد بن معاوية مع أهلها كانت بطلة الموقف ، إذ تكلمت
 فأحسنت وأوجزت ، ووصفتها أختها خاطمة بنت علي يومذاك فقالت :
 كانت أختي زينت أكبر مني وأعقل .

* وتروي المصادر أن معاورة طويلة جرت بين زينب ويزيد بن معاوية
 تدل على فطتها وبلاعتها وقوه حجتها ، وانتهت هذه المعاورة بأن استحبها
 يزيد منها وسكت ، وأحسن مثواها ومن كان معها وردهم إلى المدينة ردًا
 جميلاً ، وقال للنعمان بن بشير الانصاري :

يا نعمان بن بشير جهزهم بما يصلحهم ، وابعد معهم رجالاً من
 أهل الشام أميناً صالحأ ، وابعد معه خيلاً وأعواناً فيسر بهم إلى المدينة .

(١) من الكامل (٤/٥٨ و ٥٩) بمعنى من التصرف والاختصار .

ثم أمر بالتسوؤة أن ينزلن في داره على حدة معهن أخوهن على بن الحسين في الدار التي هو فيها ، فخرجن حتى دخلن دار يزيد ، فلم يبق من آل معاوية بن أبي سفيان امرأة إلا استقبلتهن بكى وتروح على الحسين ، وعلى من قتل معه وخاصة أولاد زينب بنت علي - رضي الله عنهم - ، فقد كان ابناها : عون الأكبر ومحمد قد استشهدوا مع الحسين - رضي الله عنه - ، وكذلك بقية الشهداء من آل جعفر ومن بني عبد المطلب .

* ثم إن يزيد بن معاوية كساهم جميعاً ، وأوصى بهم ذلك الرسول الشامي - وكان بهم مستوصياً - فخرج بهم فكان يسايرهم بالليل فيكونون أمامه حيث لا يفوتون طرفه ، فإذا نزلوا تحيى عنهم ، وتفرق هو وأصحابه حولهم كهيئة الحرس لهم ، وينزل منهم بحيث إذا أراد إنسان منهم وضوءاً أو قضاء حاجة لم يختشم ، فلم يزل يناظرهم في الطريق هكذا ، ويسائلهم عن حواجتهم ويلطفهم ويرث بهم حتى دخلوا المدينة المنورة^(١) .

* * *

« هل جراء الإحسان إلا الإحسان ؟ » :

* على الرغم من المصيبة ومن الحزن الذي كان يخيم على الركب العائد إلى المدينة المنورة ، لم تنس زينب بنت علي - رضي الله عنهم -

(١) عن تاريخ الطبراني (٣٣٩ / ٣ و ٣٤٠) ، وناريخ دمشق (ص ١٢٦ و ١٢٣) بشيء من الاختصار والتصريف .

أن تحسن من أحسن إليها ، وتجود - كعادتها - بما تستطيع ، ولعل وجودها وجود اختها فاطمة في هذا الموقف الخزين من أروع أخبار الجود في عالم النساء ، فقد أورد الطبراني وأiben الأثير أن فاطمة بنت علي قالت :

قلت لأختي زينب : يا أختة ، لقد أحسن هذا الرجل الشامي إلينا في صحبتنا ، فهل لي أن تصيله ؟ .

فقالت : والله ما معنا شيء نصله به إلا حلينا .

قالت لها : فتعطيه حلينا .

وأخذت كل واحدة منها سوارها ودمجها ، فبعثت بذلك واعتذرنا إليه ، ثم قالت له :

هذا جزاؤك بمحبتك إيانا بالحسن من الفعل .

فقال : لو كان الذي صنعت إنما هو للدنيا ، لكان في حليكت ما يرضيني ودوفه ، ولكن والله ما فعلته إلا الله عز وجل ، ولقرباتكم من رسول الله عليه السلام ^(١) .

* وقد أثرت عن زينب - رضي الله عنها - كلمات رائعت تدل على مدى حصلتها بالله عز وجل ، من ذلك أنها كانت تقول : منْ أراد أن يكون الخلق شفعاءه إلى الله فليحمده ، ألم تسمع قوله : سمع الله لمن حمده ، فخفف الله لقدرته عليك ، واستمع منه لقربك منه .

* * *

(١) عن تاريخ الطبراني (٣٤٠ / ٣) والكامل (٨٨ / ٤) بنصراف يسر جداً .

﴿عَنْدَ مَلِيلِكَ مُقْتَدِر﴾ :

* لم تعيش زينب بعد مقتل أخيها ولديها أكثر من سنة ، حيث لبت نداء الملك المقتدر جل جلاله في سنة (٦٦ هـ) .

* أما عن مكان وفاتها ، فلم تُشر المصادر إشارة يقينية إلى هذا . لكنه من الحذر بالذكر أن بعض المصادر أشارت إلى أن زينب دُفنت بعصر ، أو بالشام . غير أن صاحب كتاب : « الخطط التوفيقية » يأتي بالخير اليقين تعليقاً على المداول بين الناس من أن زينب بنت علي هي المدفونة في الحي المعروف الآن باسمها في القاهرة قال : لم أر في كتب التوارث أن السيدة زينب بنت علي - رضي الله عنها - جاءت إلى مصر في الحياة أو بعد الممات ^(١) .

وأغلبظن ، أن زينب بنت علي قد توفيت في المدينة المنورة ، والله تعالى أعلم .

* ومع وداع زينب بنت علي - رضي الله عنها - ، تلك المرأة الصابرة التّقىة نتذكرة قول جدها سيدنا رسول الله ﷺ عند ذكر المصائب في الحديث الذي رواه علي بن الحسين عن جده رسول الله ﷺ أَنَّه قَالَ : « ما من مسلم يصاب بمحنةٍ فحيذنَّ كُلُّهَا ، وإن تقادم عهدها ، فيحدث لها استرجاعاً إلا أعطاه الله من الأجر مثل يوم أصيب فيها » ^(٢) .

* رحم الله زينب ورضي الله عنها ، وأدخلها الجنة مع الصابرين .

* * *

(١) الأعلام (٣/٦٧) نقلًا عن الخامس .

(٢) رواه الإمام أحمد وابن ماجه كما في البداية والنهاية (٧/٥٢) .